على الرغم من الدور الكبير الذي قام به الاستعمار (البريطاني اساساً)، سواء على صعيد التعاطف ام على صعيد الدعم المادي للمشروع الصهيوني، إلا أن دوره كان بادئاً في مجال خلق الفكرة الصهيونية، التي ولدت، نتيجة تفاقم اوضاع اليهود في اوروبا، بين وسطين: الوسط اللاسامي والوسط اليهودي. وكي نطل على مرامي الأطراف الثلاثة، سواء من حيث الفكر او التجسيد، سنقف قليلاً حول تعريف الصهيونية.ما هي الصهيونية؟

هنالك تحليلات وتعريفات عدة للصهيونية تتناقض، في كثير من الاحيان، بسبب التباين في الأرضية الفكرية لمتناوليها، بيد أنه يمكن تعريفها من خلال الوقوف على اهدافها التي لا ينكرها المؤيد او المتصدي لها. وتتمثل هذه الاهداف في ثلاث:

١ – نفي «النفي»، أي جمع يهود العالم فيما يسمى بـ «أرض – اسرائيل». ولاستحالة تحقيق عملية جمع «الكل»، اجتمعت مختلف التيارات الصهيونية على ضرورة جمع الـ «معظم». وبدون تحقيق او تهجير «معظم» يهود العالم يبقى هذا الهدف الصهيوني غير مستكمل.

٢ – اقامة «دولة اليهود» في «ارض – اسرائيل».

٣ – تكون هذه الدولة «نموذجية» وبمثابة «ملجأ آمن» لليهود.

ومن الجدير بالذكر أن مفهوم «ارض – اسرائيل» المرشحة لقيام المشروع الصهيوني عليها، بنفي «منفى» اليهود عن طريق استقطابها لهم، كان ولا يزال مدار جدل بين مختلف التيارات الصهيونية؛ الأمر الذي حال دون اتفاقها على تعيين حدود نهائية ثابتة للمشروع المجسد في اسرائيل، وابقى الحدود «النهائية» رهن صراع ثلاثة مفاهيم لها.

الأول يكتفي بحدود الخريطة الفلسطينية كما تبلورت عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى، ولكن دون أن يتخلى عن حق اليهود في اراض أخرى خارج هذه الحدود، وهذا المفهوم يمثل وجهة نظر الحركة العمالية بشكل عام.

والثاني يرى أن حدود «ارض – اسرائيل» هي حدود الاثني عشر سبطاً؛ أي أنه يضيف إلى فلسطين شرق الأردن ومناطق من سوريا ولبنان.

والثالث ينطلق، في منظوره، من الحدود التوراتية، وينقسم إلى فريقين: فريق يرى أن الحدود التوراتية تمتد من نهر العريش في سيناء وحتى الفرات، وآخر يرى أن الحدود التوراتية تمتد من النيل وحتى الفرات. وتقف، إلى جانب الفهمين الثاني والثالث، التيارات اليمينية والدينية.

وبغض النظر عن سخافة هذه المفاهيم المعتمدة على دعاوي خرافية، الا أنها قائمة، ويرى فيها اصحابها سنداً «خلقياً» في دعواهم لتحقيقها، سواء كانوا يؤمنون بها ام يستخدمونها كذريعة لاضفاء نوع من «الشرعية» على دعاويهم.

إن الهدف الأول للصهيونية، المتمثل في نفي ما يسمى بـ«المنفى»، أي نفي واقع